

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الدرس الثالث

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده، ونبيه محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين  
يقول المؤلف:

## باب فضل التوحيد وما يكفره من الذنوب

وقول الله - تعالى - : ( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ) عن عبادة ابن الصامت - رضي الله عنه - قال: " قال رسول الله ﷺ من شهد ألا اله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق و النار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ". [ أخرجاه ]  
ولهما من حديث عتبان " فإن الله حرم على النار من قال لا اله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله .

، وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال " قال موسى: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى لا اله إلا الله، قال: كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى لو أن السموات و عامروهن غيري والأراضون السبع في كفة ولا اله إلا الله في كفة مالت بهن لا اله إلا الله . رواه ابن حبان والحاكم وصححه وللترمذي وحسنه عن أنس - رضي الله عنه - سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله - تعالى - ابن آدم لو أتيتني بتراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة.

[ الشرح ]:-

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده، ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

◆ فإن الشيخ - رحمه الله -:

لما بين في مستهل كتابه حقيقة التوحيد وبيان معناه وأن التوحيد يقوم على ركنين عبادة الله ونبذ الشرك أتبع ذلك بهذا الباب الذي يبين به فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب وهذا من حسن الترتيب فعلا فإنه بعد أن بين الحقيقة كان مناسبا أن يبين الأثر الذي يترتب على تحقيق التوحيد فعقب هذا الباب

وكلمة باب: في الأصل أن الباب في اللغة المدخل،

والمراد به عند العلماء: اسم لجملة من العلم يكون تحته فصول ومسائل

فقد جرت عادة العلماء أن يجعلوا الإطار العام كتاب ثم يجعل تحت الكتاب أبوابا ثم تحت الباب فصولا ثم تحت الفصول مسائل

ولا يقول قائل هذا من الابتداع كلا هذا من تقريب العلم لا بأس به لأنه يسهل العلم ويقربه وعين على حسن تصوره فينبغي للإنسان أن يعرف المقاصد ويفرق بين الوسائل والمقاصد

فنبينا ﷺ لم يقيم يوما على المنبر ويقول أيها الناس اعلموا أن أركان الصلاة أربعة عشر ركنا أو أقل أو أكثر وأن واجباتها تسع أو سبع أو نحو ذلك وأن السنن هكذا هذه أمور استنبطها العلماء بالتتبع والاستقراء ثم بوبوها ونظموها لكي يكون ذلك أسهل في التصور، وأقرب إلي الإدراك

### ◆ قال باب فضل التوحيد وما يكفره من الذنوب

"ما": في هذه الترجمة تحتمل أمرين إما أن تكون موصولة وإما أن تكون مصدرية

- إذا قلنا موصولة يعني بمعنى الذي اعتبرناها موصولة يكون تقدير الكلام "باب فضل التوحيد والذي يكفره من الذنوب"،
- وإذا قلنا إنها مصدرية فتقدير الكلام هكذا "باب فضل التوحيد و تكفيره الذنوب"، وكلا المعنيين يعني حسن لكن الثاني أحسن، وهو أن يقال باب فضل التوحيد وما يكفره من الذنوب، وما المقصود بقوله يكفر؟: الكفر هو التغطية والستر ولهذا سمي الكافر كافرا أتدرون لماذا لما كان الكافر كافرا؟ لأنه يغطي فطرته ويحجبها عن الحق فلذلك سمي الكافر كافرا لأنه يغطي فطرته ويحجبها عن سماع الحق ورؤية الحق وإتباع الحق فسمي لأجل ذلك كافرا، ويسمى الفلاحون كفارا لغة طبعا لأنهم يغطون البذور بالتراب،

ولازال في بعض البلاد من يسمي المكان محل الزرع يسمونه كفر الشيخ، كفر كذا لأنه محل اتخذ للزراعة فيلقون فيها البذور ثم يغطونها بالتراب،

طيب إذا أراد الشيخ - رحمه الله - في هذا الباب أن يسوق جملة من النصوص المشوقة التي تدل على عظم فضل التوحيد وأثره في تكفير الذنوب فلنستمع

◊ قال الله - تعالى - : ( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ) :-

ما معنى آمنوا؟ أي صدقوا بقلوبهم وانقادوا بجوارحهم صدقوا بقلوبهم ونطقوا بألسنتهم وعملوا بجوارحهم لأن حقيقة الإيمان حقيقة مركبة من قول وعمل:

فليس الإيمان قولاً فقط ولا عملاً فقط بل لا بد من انضمام القول والعلم هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان فيقولون الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، طيب إذا (الذين آمنوا ولم يلبسوا)

ما معنى يلبسوا: أي يخلطوا لأن اللبس خلط الشيء بالشيء ( ولم يلبسوا إيمانهم بظلم )

الظلم: في اللغة هو الانتقاص كما قال الله - عز وجل - في قصة صاحب الجنة قال (كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً) لم تظلم يعني لم تنقص فالظلم في أصل اللغة معناه الانتقاص النقص

لكنه هنا يراد به الشرك بالله كما فسره النبي ﷺ فيما سيأتي طيب أين الخبر؟

(أولئك): المشار إليهم إلى المؤمنين ( أولئك لهم الأمن )

ما الأمن: يعني الطمأنينة والسكينة ( أولئك وهم مهتدون )

مهتدون: يعني موفقون إلى الاهتداء وإصابة الحق وسلوكه

هذه الآية - أيها الأخوة الكرام - لما نزلت شق ذلك على الصحابة فقالوا للنبي ﷺ يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه يعني إذا كان شرط الأمن والاهتداء ألا يقع الإنسان في الظلم فمن منا لا يظلم نفسه فصحح لهم النبي ﷺ وقال لهم انه ليس الذي تعنون انه وفي لفظ ليس الذي تقصدون أو كما قال ألم تسمعوا بل قال إنما هو الشرك ألم تسمعوا إلى ما قاله العبد الصالح ( يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ) فطمأنهم النبي ﷺ ذلك أنه تبادر إلى

أذهانهم أن الأمن والاهتداء لا يحصل لمن وقع منه ظلم فينب لهم النبي ﷺ أن الظلم المقصود في هذه الآية هو الظلم المفسر في قول الله - تعالى - (إن الشرك لظلم عظيم)

فالذي يقع في الشرك يحرم من الأمن والاهتداء فاطمأنت نفوسهم،

وتحرير المقام في هذا الباب أو تحرير الكلام في هذا المقام أن نقول:

### ◆ إن الظلم ثلاثة أنواع :

(١) الظلم العظيم: هو الشرك بالله إذ لا ظلم أعظم وأشنع من الشرك بالله - عز وجل - إذ هو وضع

العبادة في غير موضعها صرف العبادة لغير الله هذا هو أظلم الظلم

(٢) النوع الثاني من الظلم: ظلم العباد؛ بالتجني عليهم وأخذ حقوقهم، وأمواهم، والوقعة فيهم ونحو

ذلك فهذا ظلم العباد

(٣) النوع الثالث: ظلم النفس؛ بأن يظلم الإنسان نفسه بمعصية الله فيقع فيما حرم الله - تعالى - عليه

ويعرض نفسه لعقوبة الله فيكون ظلماً لنفسه

فدلت هذه الآية على أن من سلم من الظلم العظيم حصل له أصل الأمن وأصل الاهتداء من سلم من الشرك وهو

الظلم العظيم فقد حصل له أصل الأمن وأصل الاهتداء في الدنيا والآخرة،

ومن سلم من الظلم العظيم، ومن ظلم نفسه، ومن ظلم الآخرين فإنه يحصل له الأمن التام والاهتداء التام فمن

حقق فمن سلم من الظلم مطلقاً حصل له الأمن مطلقاً والاهتداء مطلقاً،

ومن وقع منه نوع من الظلم حصل له أو نقص من أمنه واهتدائه بقدر ما ظلم به نفسه، ولهذا قال ابن القيم - رحمه

الله - "المطلق للمطلق، والحصة للحصة" كيف المطلق للمطلق والحصة للحصة؟

يعني من سلم من الظلم مطلقاً تخلص من الظلم العظيم، ومن ظلم نفسه، ومن ظلم العباد فليشر بالأمن التام

والاهتداء التام، ومن سلم من الظلم العظيم الذي هو الشرك لكن وقع منه ظلم لنفسه بمعصية الله والوقوع في

الكبائر، ووقع منه ظلم للعباد بالتعدي والعدوان عليهم فإنه ينقص من أمنه ومن اهتدائه بقدر مظلمته لكنه قد

يكون قد حقق أصل الأمن وأصل الاهتداء، وبناءً عليه فإن من وحد الله - سبحانه وتعالى - فلا بد أن ينال الجنة

لكن هذا لا يمنع من أن يطاله نوع عذاب بسبب وقوعه في الكبائر أو المظالم التي تقع للناس وبهذا تلتئم الأدلة ولا

تتعارض

### ◆ إذا هذه الآية مناسبة جدا لهذا الباب:

إذ أنها تدل على فضل توحيد الله فمن سلم من الشرك ووجد الله - عز وجل - فإنه يحصل له الأمن والاهتداء هذا وجه مناسبة الآية لهذا الباب

### ◆ وهي تفيدنا فوائد عظيمة:-

- أعظمها فضل التوحيد وثمرته إذ أن التوحيد هو الطريق إلى الأمن والاهتداء، وحسبك بهذين الوصفين في الدنيا والآخرة ليس في الآخرة فقط حتى في الدنيا فإن من وجد الله - عز وجل - اجتمع همه زالت الغشاوة عن عينيه، والوقر عن أذنيه، والأكنة عن قلبه وأبصر الأمور كما هي، ومن وقع منه ظلم بالشرك بالله - عز وجل - فإنه والعياذ بالله يفقد جميع وسائل الاستقبال كما قال الله - عز وجل - ( ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ) تعطلت جميع منافذ الاستقبال عندهم فلا يسمعون، ولا يبصرون، ولا يفقهون عيادا بالله،

ومن سلم من هذه العظيمة لكن تلتخ بالذنوب والمعاصي وتلوث بالكبائر فإنه يصيبه رشاش من هذا الذنب فيغشي على عينيه وعلى أذنيه وعلى قلبه فلا يبلغ مبلغ المؤمن الرائق الإيمان الصافي العقيدة

- أيضا مما نستفيد من هذه الآية أن الشرك سبب لحصول الضلال والخوف؛ لأنه إذا كان الإيمان سبب لحصول الأمن والاهتداء فضده الشرك سبب لحصول ماذا الخوف المنافي للإيمان والضلال المنافي للاهتداء

- ونستفيد من هذه الآية أيضا أن الشرك لا يغفره الله؛ لأن شرط الآية ( ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ) يعني بشرك إذا من لبث إيمانه بشرك فلا ولا كرامة فلا يغفر الله ذلك الشرك

### ◆ ثم بعد ذلك ساق حديثا جليلا عظيما من أصول الدين وهو حديث عبادة

عبادة: هو عبادة ابن الصامت الخزرجي - رضي الله عنه - كان أحد النقباء ليلة العقبة، وقد توفي - رحمه الله - ورضي عنه سنة أربع وثلاثون للهجرة، وقيل أنه توفي خلال خلافة معاوية وتوفي عن اثنتي وسبعون سنة، وكان ممن بعثه النبي ﷺ بكتبه إلى ملوك الأرض أرسله إلى المقوقس عظيم القبط

يقول عن عبادة ابن الصامت - رضي الله عنه - قال قال رسول الله ﷺ (من شهد

"من" أداة شرط أو اسم شرط فانظر الشرط وانظر جزاءه من شهد

وما معنى شهد؟: يعني أقر واعترف واعتقد بقلبه ونطق بلسانه لا بد من الأمرين من اعتقاد القلب والنطق باللسان كما قال الله - عز وجل - (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) فلا تكون الشهادة شهادة إلا مصحوبة بالعلم (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) فالجملة حالية لا بد من العلم بالقلب الموافق للتلفظ والنطق من شهد ألا اله إلا الله وحده لا شريك له: الله أكبر هذه أعظم شهادة في أعظم مشهود به لا اله إلا الله وقد تقدم معناها كثيرا

فمعنى لا اله إلا الله: أي لا معبود بحق إلا الله هذا معنى لا اله إلا الله،

وذلك أن كلمة اله معناها: مألوه كما نقول فراش أي مفروش، كتاب أي مكتوب، غراس أي مغروس فاله على وزن مفعول فعال على وزن مفعول لا على وزن فاعل كما ادعى ذلك بعض المتكلمين وقال ومعنى الإله يعني الإله أي القادر على الاختراع ففسروا الألوهية بالربوبية،

و- يا سبحان الله - كيف كان أبو جهل وقبيله من المشركين أعرف من هؤلاء بـ "لا اله إلا الله" ذلك أن أبا جهل ومشركي العرب جميعا مقرين بربوبية الله وأنه الخالق الرازق المالك المدبر، وإنما كانوا ينازعون في ماذا في ألوهية الله وعبادته فهم على دراية بمعنى الإله وأن معنى الإله أي المألوه أي الذي تأله القلوب محبة وتعظيما الذي تأله القلوب

ما معنى تأله؟ أي تنجذب إليه القلوب محبة وتعظيما هذا الانجذاب معشر طلبة العلم يجب أن يكون في القلب ليحقق الإنسان عبوديته لله

إذا وجدت في قلبك يعني نبضا وجاذبية إلى مولاك حبا وخوفا ورجاء فأنت موحد وإذا فقد الإنسان هذه المعاني فقلبه ميت متيبس متخشب يحتاج إلى يعني إسعاف يحتاج إلى أن يمد بهادة الإيمان ليحيا من شهد ألا اله إلا الله وحده .

كلمة "وحده": تأكيد للإثبات لا شريك له تأكيد للنفي ذلك أن كلمة التوحيد لا اله إلا الله تضمنت نفيًا وإثباتًا لا اله نفي، إلا الله إثبات فكلمة وحده تأكيد للإثبات،  
وكلمة لا شريك له: تأكيد للنفي هذه الخصلة الأولى،  
وأن: يعني "وشهد أن" على تقدير حذف العامل شهد

وأن محمد عبده ورسوله: . جمع له بين هذين الوصفين اللذين يقطعان الطريق على أهل الإفراط والتفريط:

فقوله عبده: يقطع الطريق على أهل الغلو والإفراط اللذين رفعوا النبي ﷺ فوق منزلته ووصفوه بما لا ينبغي إلا لله - عز وجل - ، ولهذا قال لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد الله قولوا عبد الله ورسوله فقولنا عبد الله هذا في الحقيقة إنزال للنبي ﷺ للمنزلة التي أنزله الله - تعالى - إياه، والحقيقة أن الوصف بالعبودية كرامة وشرف للموصوف بها، ولذا نجد أن ربنا سبحانه وبحمده وصف نبيه بالعبودية في أشرف أحواله وصفه بالعبودية حال تنزل القرآن:

- فقال: ( تبارك الذي نزل الفرقان على عبده)
- وصفه بالعبودية في أشرف ليلة مرت به وهي ليلة الإسراء والمعراج (سبحان الذي أسرى بعبده)
- وصفه بالعبودية في أشرف وظيفة يقوم بها بشر وهي الدعوة إلى الله - عز وجل - ( وأنه لما قام عبد الله يدعوه )

ونحو ذلك من المقامات الشريفة إذا العبودية شرف للمتصف به من العباد

ومما زادني شرفاً وتيها  
وكدت بأخصي أطأ الثريا  
دخولي تحت قولك يا عبادي  
وأن صيرت أحمد لي نبيا

وأما وصفه بالرسالة: فإنه رد على أهل الجفاء اللذين نالوا من نبينا ﷺ ولم يقدرُوا قدرُوا قدره فهو رسول من عند الله - عز وجل - ويا لها من منقبة أن يصطفي الله - تعالى - هذا البشر هذا الأدمي ليكون مهبط وحيه ومستودع لرسالته هذه منزلة عظيمة جدا

- ( الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس )
  - ( الله أعلم حيث يجعل رسالته )
  - ( أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا )
- إذا ينبغي دوماً أن نصف النبي ﷺ بهذين الوصفين عبده ورسوله وهذا أبلغ من أن نقول نبيه ورسوله، الثالثة:

وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه: .

نعم مما يميز هذا الحديث كونه متضمنا الرد على سائر ملل الكفر:

- (١) فما تقدم من شهادة ألا اله إلا الله رد على جميع أنواع الملاحدة اللذين ينكرون الله - عز وجل - ويشركون في عبادته ،
- (٢) وأن محمد عبده ورسوله رد على الجهمية أهل الابتداء الذين يعني يدخلون في دين الله ما ليس منه ولا يرفعون رأسا بإتباع محمد ﷺ،
- (٣) وأن عيسى عبد الله ورسوله رد على اليهود والنصارى اللذين ضلوا في عيسى

### وذلك أن الناس انقسموا حيال عيسى ابن مريم إلى ثلاث طوائف:

- (١) فقوم غلوا فيه: وهم النصارى ورأوا أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة هؤلاء غلاة النصارى أتباع "بولس" فإن هم لما رأوا عيسى - عليه السلام - يحيى الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، وينبئهم بما يأكلون وبما يدخرون في بيوتهم فتسلل إليهم شياطين الإنس والجن وقالوا هذا دليل على أنه على أن فيه جزء لاهوتي وجزء ناسوتي اللاهوتي نسبة إلى الإلهية والناسوتي نسبة إلى الناس والذي أدخل هذه البدعة الكفرية على النصارى هو بولس الذي يسميه النصارى الآن القديس بولس سانت بول وهذا الرجل أفسد دين النصارى وإلا فقد كان النصارى أتباع المسيح - عليه السلام - هم الحواريون (قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمننا بالله واشهد بأنا مسلمون) لكن جاء هذا اليهودي الخبيث "شاؤول" الذي تسمى فيما بعد باسم "بولس" وتسلل بين النصارى وصار يدخل من الفلسفة الإغريقية الهيلينية ما أفسد به دينهم

وصار النصارى يعتقدون بأن الأقانيم ثلاثة أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس ويقولون وحدة في تثليث وتثليث في وحدة كيف!! كيف يستقيم أن يكون اله واحد مكون من ثلاثة أجزاء؟ هذا لا تقبله العقول لكنه بالقوة يريدون أن يحملوا أتباعهم على هذه العقيدة الفاسدة

فمنهم من يقول المسيح ابن الله ولذلك يسمونهم في أناجيلهم الرب يسوع المسيح ولعلكم تستمعون أحيانا إلى بعض إذاعاتهم التنصيرية تجدهم يقولون ثم توجه الرب يسوع المسيح إلى الجليل وقال وفعل هكذا يلجعون عليه هذه الألقاب،

ومنهم من يعبر فيقول ثالث ثلاثة الآب والابن وروح القدس اله واحد،

ومنهم من يقول ابن الله لهم في هذا خوض وضلال عظيم

لهذا اقتتلوا فيما بينهم واختلفوا هل طبيعة واحدة أم طبيعتان وأريق بسبب ذلك دماء

وجميع نصارى العالم الآن - أيها الأخوة - لم يبق منهم موحد كلهم على اعتقاد التثليث؛ ذلك أنه لما اعتنق الإمبراطور الروماني قسطنطين النصرانية ووجد النصارى مختلفين في عقائدهم دعا إلى مجمع في مدينة "نيقيا" التركية إذ كان الإمبراطورية الرومية كان مقرها القسطنطينية فدعا إلى مجمع وحشد له جميع أساقفة النصارى بالآلاف ودعاهم إلى أن يخرجوا برأي موحد

فكان هناك اتجاهاً اتجاه يقال له أتباع "أريوس" وهذا اتجاه توحيدى أقرب إلى التوحيد واتجاه شركي وهم أتباع بولس فكان يميل قسطنطين إلى أتباع بولس فمكثهم وغلب رأيه على رأى الموحدين وجعل بيدهم الأمر وأمر بمصادرة كتب الموحدين، وإحراقها، وتبعهم، وقتلهم، وإثنائهم فصارت الكلمة لهؤلاء أتباع بولس

فصار جميع نصارى الأرض الموجودين الآن كلهم يعني يعتقدون ما صدر عن مجمع "نيقيا" ما يسميه النصارى بالأمانة الكبرى ويسميها ابن كثير - رحمه الله - "الخيانة الحقيرة" إذ فيها النص على أن المسيح يعنى هو الله هو ابن الله وغير ذلك من الباطل الذي يعني ظل النصارى عليه إلى يومنا هذا فلم يبق في النصارى أحد من أهل التوحيد إذا هذا الاستطراد في بيان الطائفة الأولى التي غالت في المسيح ورفعته فوق منزلته على النقيض من هؤلاء:

(٢) اليهود فإن هم كفروا بالمسيح - عليه السلام - وهو قد بعث إليهم (يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)

لكن اليهود - عليهم لعائن الله متتابعة إلى يوم القيامة - كذبوه وكفروا به وزعموا أنه ابن زنى وسفاح وأن أمه مريم العذراء الطاهرة البتول بغى، ووصموه بأبشع الألقاب، وكان يعاملهم بالرفق والتؤدة والموعظة لكن طبعهم الذميمة اللئيم حملهم على الكفر به، حتى أنهم سعوا به إلى الرومان اللذين كانوا يحكمون بلاد فلسطين سعوا إلى "بلاطس" الذي هو الحاكم الروماني الذي يحكم بيت المقدس لكي يقتلوه ويصلبوه ودلهم أحد المندسين في تلامذته المسمى "يهوذا الاسخريوطي" إلى الموضع الذي كان هو وحواريوه مجتمعون فيه كانوا مجتمعين فيه فلما داهموا ذلك المكان رفع الله عيسى ابن مريم من بينهم ورفعه إلى السماوات العلى، وألقى شبهه على هذا الخائن الدعي "يهوذا الاسخريوطي" فأخذوه وجرروه وصلبوه على الخشبة وظنوا أنهم قتلوه (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) فهؤلاء القوم والعياذ بالله النصارى على النقيض،

(٣) أما الطائفة الثالثة فهم أهل الإيمان من الحواريين الكرام ومن سار على طريقتهم إلى أن جاء نبينا محمد ﷺ وهم اللذين يعتقدون هذه العقيدة وأن عيسى عبد الله ورسوله إذا كما نبينا محمد ﷺ عبد الله ورسوله كذلك عيسى - عليه السلام - عبد الله ورسوله وهو بشر ليس فيه جزء إلهي كما زعم النصارى مرسل من عند الله (إني رسول الله إليكم جميعا) (يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار)،

وأخبر الله - تعالى - (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت) إذا عيسى - عليه السلام - جاء بالتوحيد لكن الذي شان دينه وملته هم هؤلاء المندسون من أتباع "بولس" حيث أفسدوا النصرانية فتوثنت النصرانية ولم تنتصر الوثنية الرومانية إذا هذا معتقدنا أنه عبد الله ورسوله طيب: ما معنى كلمته؟

معنى كلمته: يعني أن الله - تعالى - خلقه بكلمته هذا معنى كلمته لا أن عيسى هو نفسه الكلمة لا المقصود أنه مخلوق بالكلمة قال ربنا - عز وجل - (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) فعيسى ليس كن ليس عيسى هو الكلمة ولكنه خلق بالكلمة أفهمتم - أيها الأخوة -

لأن هذا الأمر الذي أشكل على النصارى فظنوا أن عيسى هو الكلمة ولهذا ما نجد في أناجيلهم مثل "إنجيل متا" في البداية كانت الكلمة لأنهم أصلا مختلفون في هذه القضية فيعتقدون أن عيسى هو الكلمة فبتالي هو جزء من الله - تعالى - الله عما يقولون إذا معنى وكلمته أي أنه خلقه بكلمته بكلمة كن

(وكلمته ألقاها إلى مريم): مريم هي العذراء البتول الطاهرة سليلة بيت علم ودين وفضل وحسب وتعلمون ماذا حكى الله - تعالى - من قصتها في سورة آل عمران وكيف أنه كفلها زكريا (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) وكلمتها الملائكة (إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) وبشرها (إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين) فله درها ما أعظم منزلتها هذه مريم (ألقاها إلى مريم)

ما معنى ألقاها إلى مريم؟ يعني أن الله - تعالى - أرسل جبريل - عليه السلام - بهذه الكلمة العلوية والنفخة القدسية إلى مريم فنفخ فيها هذه النفخة المخلوقة وهذا الروح المخلوق فدخلت في فرجها واستقرت في رحمها أو

أنه نفخ في جيبها فدخل في فرجها كما يكون حال النساء ثم تكون هذا الخلق في رحمها وحملت به وظاهر الأمر والله أعلم أنها حملت به كما تحمل النساء وفي بعض الاسرائليات أنها حملت حملا سريعا خلاف حمل النساء لكن ظاهر الحال أنها مر بها ما يمر بالنساء ولهذا اشدت كربها وصارت تجد عناءا و ( قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ) لما يعني صار يظهر حملها ويكبر بطنها في القصة المعروفة إذا هو ( كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه )

ما معنى روح منه؟ يعني أن عيسى - عليه السلام - روح من الأرواح التي خلقها الله

فكلمة من: أرجوا الانتباه هنا ليست من تبعية ولكن ابتدائية من هنا ليست تبعية يعني من جزء منه حاشى وكلا - تعالى الله عن ذلك - ليس شيء منه سبحانه في أحد من خلقه، ولا أحد من خلقه فيه سبحانه هو العلى

إذا وروح منه أي المقصود أنه صدر من الله - سبحانه وتعالى - ابتداء كقول الله - عز وجل - ( وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ) فهل منه في قوله: ( وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ) تدل على أن ما في السماوات وما في الأرض جزء منه - تعالى - الله عن ذلك، وإنما منه يعني خلقه الله - عز وجل - فمنه صدر ومنه يعني جعل بكلمته هذه إذا لا حجة للنصارى لكن النصارى لبث عليهم قال ( وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه )

ثم ذكر الخصلة الرابعة قال "والجنة حق والنار حق".

الجنة والنار: داران أعدهما الله - عز وجل - في اليوم الآخر

فالجنة هي الدار التي أعدها الله - تعالى - لعباده المؤمنين جزاء على إيمانهم وحسن أعمالهم،

والنار هي الدار التي أعدها الله عقوبة للكافرين جزاء وفاقا على كفرهم وسوء أعمالهم،

ومعتقد أهل السنة والجماعة: أن الجنة والنار مخلوقتان باقيتان لا تفنيان يعتقد أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار الآن مخلوقتان:

- لأن الله - تعالى - يقول عن الجنة ( أعدت للمتقين )، ويقول عن النار ( أعدت للكافرين )
- ولما صلى النبي ﷺ بالمؤمنين صلاة الكسوف تقدم مرة وتأخر أخرى وحين سأله عن ذلك قال ما رأيته اليوم منظرا قط أريت الجنة والنار دون حائل يعني هيئت وصورت له فرأيت الجنة حتى هممت أن آخذ منها قطفا وذلك حينما رأيتموني تقدمت ولو أخذته لبقى الناس يأكلون منه ما بقيت

الدنيا، وأريت النار يحطم بعضها بعضا رأيت فيها عمرو ابن لحي الخزاعي يجر فيها قصبه، ورأيت المرأة التي حبست هرة فلا هي تركتها ولا هي أطعمتها لا رأي النبي ﷺ هذا المنظر الشنيع فذلك حين رأيتموني تأخرت فهذا يدل على وجود الجنة والنار،

إذا نعتقد - أيها الكرام ويا أيتها الكريبات - أن الجنة والنار مخلوقتان باقيتان وأنها لا تفنيان خلافا لمن زعم أنهما يفنيان من الجهمية وغيرهم فهما لا تفنيان لأن الله - عز وجل - أثبت الخلود لأهل كل من الدارين .

طيب هذه الجملة من العقائد والأصول العظيمة ﷺ من شهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق و النار حق:

أدخله الله الجنة على ما كان من العمل: إذا هذا هو جواب الشرط وجزاء أدخله الله الجنة على ما كان من العمل إذا من اعتقد هذه العقائد الصحيحة ما جزاءه أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ما معنى هذه الجملة:

على ما كان من العمل؟ للشرح في توجيهها قولان:

١. قيل إن معنى أدخله الله الجنة على ما كان من العمل يعني أن مآله إلى الجنة لا بد أن يدخل الجنة لا بد أن يدخل الجنة

○ إما دخولا أوليا

○ أو دخولا في المآل

فمن اعتقد هذه العقائد الصحيحة الصائبة وسلم من الكبائر فإن الله - تعالى - يدخله الجنة دخولا أوليا أدخله الله الجنة على ما كان من العمل،

وان كان قد تلطخ بالكبائر فإن الله - تعالى - ربما عذبه بقدر ذنبه جزاء ما اكتسب لكن مآله إلى الجنة هذا أحد التوجيهين لقوله أدخله الله الجنة على ما كان من العمل مآله إلى الجنة قطعاً بسبب حسنة التوحيد،

٢. التوجيه الثاني أدخله الله الجنة على ما كان من العمل أي أن منزلته في الجنة تكون بحسب عمله وذلك أن المؤمنين يتفاوتون:

- فمنهم كما قال الله - عز وجل - ( ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ) فقلوه أدخله الله الجنة على ما كان من العمل إن كان من السابق السابقين بالخيرات فدرجته عليا،
  - وان كان من المقتصدين فدون ذلك،
  - وان كان من الظالمين لأنفسهم فدون ذلك
- إذا هذان توجيهان لقلوه أدخله الله الجنة على ما كان من العمل وكلا التوجيهين يدل على دخول الجنة ولهذا كان هذا الحديث العظيم مناسبا للباب

#### ◆ ما وجه مناسبه للباب

فيه بيان فضل التوحيد وأنه سبب لدخول الجنة وتكفير السيئات هذا مناسبة الباب للتوحيد فيه بيان فضل التوحيد وأنه سبب لدخول الجنة وتكفير السيئات فهو مطابق

#### ◆ - فنستفيد منه :-

- فضل التوحيد يا له من فضل عظيم يعني قبل أن تشتغل أيها العابد بمفردات العبادات وآحاد العبادات اشتغل بتحقيق التوحيد في قلبك
- نستفيد أيضا سعة فضل الله أن الله - تعالى - واسع الفضل واسع المغفرة فهذه الاعتقادات الجليلة القيمة سبب لحصول هذا الفضل العظيم
- كذلك أيضا بيان الواجب تجاه أنبياء الله وهو أن نعتقد أنهم عباد الله ورسوله كما قال عن محمد عبد الله ورسوله وكما قال عن عيسى عبد الله ورسوله فنسلم من الإفراط والتفريط
- وأيضا نستفيد من هذا الحديث العظيم الرد على جميع أهل الملل الباطلة ففي هذا الحديث الرد على المشركين من قول من شهد ألا اله إلا الله، الرد على المبتدعة وأن محمد رسول الله، الرد على اليهود اللذين طعنوا في عيسى ابن مريم وأمه، الرد على النصرى الذين غلوا في عيسى ابن مريم وأمه
- وفيها أيضا الرد على الخوارج؛ هذه فائدة أيضا مهمة لأن الخوارج يخلدون مرتكب الكبيرة في النار فعند الخوارج أن من زنا سرق أكل الربا غير ذلك من الكبائر ولم يتب فإنه خالد مخلد في النار وهذا الحديث شجى في حلوقهم لأن النبي ﷺ عد هذه الشروط وقال أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ففيه الرد على الخوارج .